أثر المتغيرات في اختيار المجدد

أ٠د٠ خالد بن حسن العبري (*)

الملخص

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على الأسباب التي تؤثر في تحديد المجدد. ويشير البحث إلى طرق التجديد الثلاثة: ١. التجديد المتضمن للنشر والإحياء لما اندرس من الدين، ٢. التجديد المتضمن للزيادة والإضافة بمناقشة ما تحتاجه الأمة من نوازل وقضايا تعاصرها، ٣. التجديد المتضمن للحذف والإلغاء بتنقية علوم الشريعة مما شابها من مناكير في جوانبها المختلفة كالأحاديث الموضوعة وغير ذلك. والأسباب التي تؤثر في تحديد المجدد واختياره المؤثرات والمتغيرات: ١. الاعتقاد بلزوم تسمية المجددين، والواقع أن المجدد موجود في كل قرن بناء على البشارة النبوية، ٢. البيئة المغلقة، فإن سلامة الطريقة والمنهج –مهما كانت البيئة– تمنع صاحبها من التعصب العلمي والتحيز الفكري الذي يؤثر في اتخاذ القرار والرأي. ٣. الغلو في المجدد، ٤. النظرة التقديسية إلى المجدد، ٥. التعصب المذهبي، ٦. الإعجاب، ٧. شهرة المجدد والنظر إلى آثاره.

الكلمات المفتاحية: التجديد، المصلح، الدين، المنهج، المجدّد، التعصب، التأثير

(*) الأستاذ بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن – المملكة العربية السعودية.

alabrik@hotmail.com

ABSTRACT

This research aims to present the methods of renewal/ mujaddid and the reasons that affect renewal identification. There are three methods of renewal: 1. Renewal that includes spreading and reviving what has been studied in the religion; 2. Renewal that includes additions and additions by discussing what the nation needs in terms of contemporary calamities and issues; 3. The renewal consists of deletion and cancellation by purifying the sciences of Sharia from what has tainted them from evil in its various aspects, such as fabricated and non-fabricated hadiths. That. The reasons that influence the identification and selection of the innovator, the influences and variables: 1. The belief in the necessity of naming the innovators, and the innovator is present in every century based on the prophetic message, 2. The closed environment, as the integrity of the method and approach - whatever the setting - prevents its owner from scientific fanaticism and intellectual bias. Which affects decision-making and opinion. 3. Exaggeration in the mujaddid, 4. The sanctifying view of the mujaddid, 5. Sectarian fanaticism, 6. Admiration, 7. The fame of the mujaddid and consideration of his effects.

Keywords: Renewal, Reformer, Religion, Method, Mujaddid, Identification, Influence

المقدمة

فقد يتأثر الإنسان في اتخاذ القرار والرأي بعدة مؤثرات داخلية وخارجية؛ وتتنوع المؤثرات والمغيرات وقد تكون تلك المؤثرات مقبولة ومعتبرة مبنية على الدليل الشرعي والفطري والعقلي والحسي، وقد تكون غير سائغة ولا معتبرة لمخالفتها الشرع والفطرة والعقل والحس، ومن تلك المؤثرات التي تؤثر في الآراء: التوجه المذهبي أو الاتجاه الفكري أو اتباع الهوى أو التحيز لطائفة أو التعصب لجماعة أو الانحياز لقومية أو التحزب لفئة أو غير ذلك من المؤثرات التي تؤثر في الرأي والقرار.

والحق أن من الصعوبة بمكان الحكم على طرف ما بأنه تعصب مذهبياً لرأي أو فكر أو طريقة، ولكني في هذا البحث سوف أذكر مؤشرات تحيط بالرأي والقول والقرار؛ تجعل الناقد أو القارئ قريباً من الحكم على صاحب تلك الفكرة. وكل ذلك حتى يفيد الناقد والقارئ مما قد يقع من الخطأ بالتأثر كي يلحظه ويستنتجه ويبتعد عنه ويتفاداه.

ومن الأمور التي دخلها التأثر بسبب التوجه المذهبي أو الفكري أو السياسي أو حتى العاطفي ما يتعلق باختيار المجدد الوارد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: "**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**"[1]. فلا شك أن الحديث تضمن بشارة وعد الله سبحانه وتعالى بها الأمة بأنها لا تخلو من المجددين، فهو وعد إلهي لا يتخلف.

وفي هذا البحث لن أتناول موضوع التجديد وحقيقته ومفهومه وضوابطه وشروطه، ولا أسماء المجددين وصفاتهم وتعددهم وتزامنهم في العصر الواحد ولا شروط المجدد ولا الضابط الزمني للمجدد... على أهمية تلك المباحث والفروع إلا

---

(1) رواه أبو داود في سننه ٤/٤٨٠ برقم (٤٢٩١) وأخرجه الطبراني في الأوسط ٦/٣٢٣ برقم (٦٥٢٧). وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٥٧٦ برقم (٨٥٩٢).

أنها قد نوقشت كثيراً في أبحاث وكتب أخرى؛ ولكني آثرت في هذه الورقات أن أبحث جانباً جديداً لم يتطرق له الباحثون حسب علمي متعلقاً بالأسباب التي تؤثر في تحديد المجدد واختياره بناء على اعتبارات مذهبية، أو تأثر فكري أو غير ذلك. والحق أن موضوع التجديد حساس وقد تناوله مؤلفون كثر كما أشرت لكني أحببت تناول موضوع التجديد في هذه الورقات من زاوية مختلفة[1].

ولا بد من التنبيه بأنه ليس من التعصب ولا من التحزب المذموم اختيار الوصف بالتجديد على من اتفقت الأمة على إمامته. ولكن المقصود بالبحث هنا: أن بعض الاختيارات التي حصلت قد وقع فيها تأثير عاطفي ظاهر من وجهة نظري. فعلى سبيل المثال: من الظلم مقارنة الخليفة عمر بن عبدالعزيز الذي اعتبر مجدد المائة الأولى والإمام الشافعي الذي اعتبر مجدد المائة الثانية نظير تأثيرهما الواضح وقوة التغيير الذي أحدثاه –كل في مجاله– وكونهما ظهرا على رأس المائة كما جاء الضابط في الحديث أقول من الظلم مقارنتهما بشخص وصفه أتباعه بالتجديد ولا يعرفه إلا أصحابه ولا تأثير له إن وجد إلا في محيطه الصغير ولا تتوفر فيه أي صفة من صفات المجدد ولا ينطبق عليه أي ضابط من ضوابط التجديد؛ فشتان بين هذا وبين صاحب النفع العام بين الأمة والتأثير الواسع في أهل زمانه وربما غير أهل زمانه.

**

(1) لي بحث منشور بعنوان: (التجديد والمجددون عند السيوطي دراسة نقدية) نشر في مجلة جامعة القصيم العلمية (العلوم الشرعية)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم، المجلد السابع، العدد الرابع، شوال ١٤٣٥هـ يوليو ٢٠١٤م.

المبحث الأول

نظرة لمفهوم التجديد

الحديث رواه أبو داود وغيره عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**"(١).

وقد صحح الحديث جمع من العلماء منهم: الزين العراقي(٢)، والسخاوي(٣)، وقال: (وسنده صحيح، رجاله كلهم ثقات، وكذا صححه الحاكم). وصححه الألباني وقال: (والسند صحيح، رجاله ثقات رجال مسلم)(٤). وغيرهم ممن صححوا الحديث من المتقدمين والمتأخرين.

والجديد في اللغة يطلق على ما لا عهد لك به، والجِد: الاجتهاد في الأمور. والتجديد هو: جعل الشيء جديداً، وتجدد الشيء: صار جديداً، ومنه: جدد وضوءه، وجدد عهده: يعني أعاده وكرره، والجديد نقيض الخلق(٥). فيلحظ من التعريف أن التجديد ليس محصوراً في الإتيان بجديد. فلو قلنا جدد وضوءه: فالوضوء في أصله موجود؛ ولم يُخترع وضوء جديد لكنه كُرر وأعيد.

فمن مظاهر التجديد إحياء ما اندرس وما تُرك من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما؛ فالمجدد هو من يحيي ما تركه الناس وغفل عنه من العلم بالكتاب والسنة والعمل بهما فالمجدد يعمل على إحياء العلم والعمل معاً، فالمجدد

---

(١) سنن أبي داود برقم (٤٢٩١) والطبراني في الأوسط برقم (٦٥٢٧) والحاكم في المستدرك برقم (٨٥٩٢).

(٢) تخريج إحياء علوم الدين ١٨/١.

(٣) المقاصد الحسنة، ص١٢٢.

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٩٨/٢.

(٥) لسان العرب مادة (جدد) ٥٦٣/١-٥٦٤.

قد يكون عالماً أو حاكماً أو غيرهما يعيد النشاط والأثر والتأثير إلى الأمة بعد كل قرن.

وفرق بين التجديد والتبديل فتجديد الدين أمر مشروع بل مرغب فيه، والتبديل أمر محذور بل منهي عنه. وربما اجتذبت كلمة التجديد بعض الناس فيقع في الخلط بينه وبين التبديل. حيث يغلو البعض في مفهوم التجديد فيرى أنه يقتضي إخضاع النصوص الشرعية لظروف الزمان والمكان لتتلاءم مع العصر بزعمه أو لتتوافق مع أفكاره وآرائه أو عن طريق تقديم العقل على النقل وربما كانت مقاصدهم حسنة وربما كان الدافع هو الاستجابة للضغوط والمتغيرات الواقعية. وأسوأ منه من يرى أن التجديد هو تطوير الدين والانفكاك من حدود الشريعة وضوابطها.

ويمكن تلخيص طرق التجديد إلى ثلاثة: الأول: التجديد المتضمن للنشر والإحياء لما اندرس من الدين. الثاني: التجديد المتضمن للزيادة والإضافة بمناقشة ما تحتاجه الأمة من نوازل وقضايا تعاصرها. الثالث: التجديد المتضمن للحذف والإلغاء بتنقية علوم الشريعة مما شابها من مناكير في جوانبها المختلفة كالأحاديث الموضوعة وغير ذلك.

**

المبحث الثاني

بيان المؤثرات والمتغيرات

المؤثر الأول: الاعتقاد بلزوم تسمية المجددين

مما لا ريب فيه أنه قد صح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في البشارة في بعث المجدد للأمة، ولكن لم يأت التنصيص بأسماء معينة ومحددة للمجددين، فهل تعيين أسماء المجددين أمر مقطوع به كالعشرة المبشرين بالجنة على سبيل المثال أم أنه أمر اجتهادي؟ لا شك في كونه أمراً اجتهادياً مبنياً على أوصاف يتسم بها المجدد.

وصحيح أن النفس بطبيعتها تتشوف لمعرفة اسم المجدد في كل قرن؛ لكن تحديد المجددين وتعيينهم في التاريخ الإسلامي يحتاج الى دراسة شاملة لسير العلماء في جميع الأقطار الإسلامية من الهند إلى الأندلس. كما أنه مبني على اتفاق وتواطؤ من أغلب أهل العلم على اختيار المجدد وتحديده. فعلى سبيل المثال يلحظ الاتفاق في المائتين الأولى والثانية على الخليفة عمر بن عبدالعزيز والإمام الشافعي رحمهما الله، وقال الإمام أحمد بعد ذكره حديث المجدد: (وإني نظرت في سنة مائة فإذا رجل من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبدالعزيز ونظرت في رأس المائة الثانية فإذا هو رجل من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن إدريس الشافعي)[1]. ثم تابع الإمام أحمد على هذا خلق كثير. والذي يظهر أن الزهري هو أول من عدَّ عمر بن عبدالعزيز من المجددين، قال ابن عدي كما نقل عنه ابن حجر: (وقد سبق أحمد ومن تابعه إلى عد عمر بن عبد العزيز في المائة الأولى: الزهري فأخرج الحاكم من طريق أحمد بن عبدالرحمن بن وهب عقب روايته عن عمه عن سعيد بن أبي أيوب الحديث المذكور قال ابن أخي ابن وهب قال عمي يونس عن الزهري أنه قال: فلما كان

(١) حلية الأولياء ٩٨/٩. وتاريخ بغداد ٦٢/٢. وتاريخ دمشق ٣٣٨/٥١.

في رأس المائة منَّ الله على هذه الأمة بعمر بن عبد العزيز)[1].

لكن الجزم في بقية القرون بتسمية المجدد أمر يصعب تحديده لاعتبارات عدة منها توافر أهل العلم الأثبات في كل فن من فنون العلم المختلفة في القرن الواحد؛ وقد تجد بعضهم بارزاً في علم ما وغيره أبرز منه في علم وفن آخر، حتى أضحى الاختيار بينهم شاقاً فالمرء أمام عقد من لؤلؤ العلماء لا يدري أي جوهرة في ذلك العقد أجمل. وهذا الأمر جعل بعض أهل العلم يقول بتعدد المجددين في القرن الواحد ولا يلزم أن يكون المجدد واحداً. وحين ذكر ابن حجر أن المجدد يكون تجديده عاماً في جميع أهل عصره قال: (وهذا ممكن في حق عمر بن عبدالعزيز جداً ثم في حق الشافعي؛ أما من جاء بعد ذلك فلا يعدم من يشاركه في ذلك)[2].

ولأن بعض من يكتب في موضوع التجديد قد ظن أنه من اللازم أن يحدد ويعيّن لكل مائة مجدداً باسمه وعينه وشخصه فتجده يتكلف بعدّ أسماء المجددين حتى وإن لم ينطبق عليهم القيد المذكور في الحديث وهو رأس المائة. والواقع أن المجدد موجود في كل قرن بناء على البشارة النبوية، ولكن ليس بالضرورة أن تتفق الأمة على تعيين اسم مجدد ما لقرن ما كما اتفقت على أول اثنين. وبناء عليه فليس من السهل أن يجزم المرء باسم المجدد حتى وإن أخذ في الاعتبار الضوابط والقيود المعتبرة؛ فكيف لو تم اختيار المجدد دون ضابط أو قيد سوى التحيز المذهبي أو التأثر العاطفي.

المؤثر الثاني: البيئة المغلقة

قد لا يكون اختيار المجدد راجعاً لتعصب أو هوى ولكن الأمر متعلق بالمعرفة الشخصية والتعايش والبيئة المحيطة والحدود الزمانية والمكانية والنشأة الأولى؛ فلربما عاش المرء في بيئة ما وهو لا يعرف إلا علماء بلده وموطنه وفيهم من

---

(1) توالي التأنيس (التأسيس)، ص٤٨. وانظر: عون المعبود ٢٦١/١١.

(2) توالي التأنيس (التأسيس)، ص٤٨.

العلم والخير والقيام بأمر الله ما لا ينكر ولا يجحد. فيعكف على دراسة ونشر تراث علماء مذهبه وبلده دون غيرهم فيصرف جهده ووقته على الدراسة والتخريج على قواعد أئمة مذهبه وأقوالهم وشرح كتبهم أو اختصارها. وينتج عن هذا النهج أنه قد يمكث حيناً من الدهر غير مطلع على تراث غير علماء مذهبه وبلده ولكن ذلك لا يعني عدم قيام غيرهم بأمر الله ونصرة دينه مما يجعل المرء ينسب تجديد الدين لعلماء عرفهم دون غيرهم ممن جهل حالهم بتقصير منه وقصور في اطلاعه.

وهذا ضعف وانحسار وخلل في إدراك الأمور على حقيقتها يؤدى إلى حصر التفكير أو الرؤية في حدود ضيقة لا تتجاوز المكان والزمان. وربما كان نتيجة طبيعية لانغلاق البيئة أو تباعد أقطار العلماء عن بعضهم؛ فلو سألت أندلسياً أو مغربياً أو حتى مشرقياً عن مجدد قرنه أو عن عالم معتمد في فتواه لاختار ولأجاب عن معرفة واطلاع لعلماء عصره بل محيطه؛ لأن ذلك مبلغه من العلم. فهذا الذي لا يرى العلم إلا في أهل بلده ربما تجده لم يسافر أو يرحل في طلب العلم، فالأصل أن لا حواجز ولا حدود تفصل بلاد المسلمين.

فينتج عن ذلك خلطه في معرفة الحق وصاحب الحق وكما قيل: الحق لا يعرف بالرجال وإنما يعرف الرجال بالحق، ولو والى المسلم جميع أهل العلم بما معهم من الحق أينما كانوا لما وقع فيما وقع فيه من الخلل في حصر المجددين في أهل بيئته وعلماء مذهبه، وتهميش علماء آخرين بقصد أو دون قصد؛ ولذا ترى أن كل طائفة تجعل المجدد من أتباعها.

وربما أدى الانغلاق البيئي إلى نوع من العزلة الاجتماعية تجعل من الصعوبة بمكان التعرف على ثقافات الآخرين والتواصل معهم فضلاً عن التفاعل معهم. فينتج عن ذلك نوع من الانتماء الثقافي أو الاجتماعي المشترك بين الشخص

والعالم ربما له تعلق باللغة أو العرق أو الدين أو العقيدة أو حتى الأفكار السياسية المشتركة.

ولا أقول إن الانغلاق في البيئة هو السبب الرئيس لتهميش الآخرين؛ فالمسألة متعلقة بصحة المنهج وموالاة أهل العلم جميعاً في المشرق والمغرب، فلو سلم المنهج لرأيت المغربي يكتب كما المشرقي كأنهم يصدرون عن رأي واحد. يقول الإمام أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله: (ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافا، ولا تفرقا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟)[1].

ولأجل ذلك فإن الرحلة في طلب العلم أمر مرغوب لما فيه من توسيع المدارك والفوائد والملاقاة والاحتكاك الذي يرسخ العلم. فكلما زاد علم الإنسان وتواصل مع الآخرين زادت مداركه واتسع أفقه واكتمل نضجه وقد أشار ابن تيمية أن غاية المتعصِّب لواحد من الأئمة أن يكون جاهلاً بقدره في العلم والدِّين وبِقَدْر الآخرين، فيكون جاهلاً ظالِماً، والله يأمر بالعلم والعدل، وينهى عن الجهل والظُّلم، قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا * لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾ [الأحزاب: ٧٢ – ٧٣]، إلى آخر السورة، وهذا أبو يوسف ومحمد أتبع الناس لأبي حنيفة وأعلمهم بقوله وهما قد خالفاه في مسائل لا تكاد تحصى

(1) الحجة في بيان وشرح عقيدة أهل السنة للإمام أبي القاسم محمد بن إسماعيل الأصبهاني ٢/٢٢٤.

لما تبين لهما من السنة والحجة ما وجب عليهما اتباعه وهما مع ذلك معظمان لإمامهما[١]. ولذا فإن سلامة الطريقة والمنهج –مهما كانت البيئة– تمنع صاحبها من التعصب العلمي والتحيز الفكري الذي يؤثر في اتخاذ القرار والرأي.

المؤثر الثالث: الغلو في المجدد

الأصل في المسلم الاعتدال فلا غلو ولا إجحاف، ولا إفراط ولا تفريط، وقد نهى الله سبحانه عن الغلو بكل أنواعه سواء أكان غلواً في الذوات أو الأشخاص أو النصوص قال تعالى: (لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ)[٢].وقال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ)[٣]. كما نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الغلو فقال: (يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)[٤]. وما أوقع أهل الشرك فيما وقعوا فيه إلا بسبب الغلو كما حصل لقوم نوح عليه السلام وغيرهم من الأقوام. فالغلو يجرُّ أصحابه إلى الشرك، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: "لا تُطرُوني؛ كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله"[٥]. وقد حذر ابن عباس من عاقبة هذا الأمر، فقال: "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون: قال أبو بكر وعمر". وكذلك نبه الإمام أحمد لهذه المسألة بقوله: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف عام ١٤٢٥هـ إشراف وزارة الشؤون الإسلامية ٢٢/٢٥٢-٢٥٣.

(٢) النساء، آية: ١٧١.

(٣) المائدة، آية: ٧٧.

(٤) أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس وصحح الألباني سنن ابن ماجه (٣٠٢٩).

(٥) رواه البخاري برقم (٣٤٤٥).

إلى رأي سفيان، والله -تعالى- يقول:" فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"[1]، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك. قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: والأئمة -رحمهم الله- لم يقصروا في البيان، بل نهوا عن تقليدهم إذا استبانت السنة؛ لعلمهم أن من السنة شيئاً لم يعلموه وقد يبلغ غيرهم، وذلك كثير كما لا يخفى على من نظر في أقوال العلماء[2].

والمغلو فيه مهما علا قدره وعلمه ومكانته فهو لا يرضى بغلو من غلا فيه ورفعه فوق مقامه وهو بريء من اعتقادهم ولا تلحقه تبعة وإثم غلوهم. كما أن الغلو يقود صاحبه إلى المبالغات والخلل في الاعتقاد والفكر؛ حتى وإن كان المعتقد فيه من الأنبياء أو من أولياء الله الصالحين. فمن ذلك قول بعضهم: (عندنا بخراسان يظنون أن أحمد لا يشبه البشر، يظنون أنه من الملائكة. وقال آخر: نظرة عندنا من أحمد تعدل عبادة سنة. قلت (أي الذهبي): هذا غلو لا ينبغي، لكن الباعث له حب ولي الله في الله)[3]. وقال أبو عَبْدالرحمن السلمي قلت يوما للأستاذ أَبِي سهل فِي كلام يجري بيننا: لم؟ فَقَالَ لي: أما علمت أن من قَالَ لأستاذه: لمَ، لا يفلح أبداً[4]. وحكى الشيخ سليمان بن يوسف بن مفلح أحد أعلام الشافعية رحمه الله عن نفسه، فقال: (كنت إذا سمعت شخصاً يقول: أخطأ النووي، أعتقد أنه كفر)[5]. ولا شك أن ذلك من المبالغات التي لا تتوافق مع نصوص الشرع؛ وبالتالي فلا اعتبار لها.

---

(1) النور، آية: ٦٣.

(2) انظر: فتح المجيد ٣٩٣-٣٩٨.

(3) سير أعلام النبلاء ٢١١/١١.

(4) طبقات الشافعية ١٤٧/٤.

(5) الدرر الكامنة ٢٦١/٢.

المؤثر الرابع: النظرة التقديسية إلى المجدد

وهذا من باب ذكر الخاص بعد العام حيث إن تقديس المجدد نوع من الغلو فيه مما يؤدي إلى الافتتان به. فالواجب أن يعرف المرء للأشخاص قدرهم اللائق بهم، وأن ينزلهم منزلتهم فيعرف للرسل رسالاتهم، ويعرف للصالحين صلاحهم، ويعرف للعلماء علمهم، فيعرف لكل قدره ويُنزلون منازلهم، وفي الوقت ذاته لا يرفعون فوق منازلهم وفوق قدرهم وفوق ما يستحقون. ويحمل التقديس معنى التعظيم والتبجيل الممزوج بالتنزيه عن النقائص والعيوب بحيث لا يقبل اعتراضاً ولا نقاشاً في حقهم ولو خالفوا نصوص الكتاب والسنة. وتقديس الأشخاص ظاهرة سلبية وداء عضال تغطي عين الإنسان وتعطل عقله عن النظر في عيوب من يقدسه وتجعله يسوغ لكل ما يفعله ولو كان خطأ بيّناً؛ لأنه وقع في رق التقليد المذموم والتبعية العمياء.

ولا شك أن المجدد شخص ينفع الله به الأمة؛ كما يقول السيوطي: (لا بد أن يكون المبعوث على رأس المائة –أن يكون- نفعه عاماً مطلقاً في الأرض أو فيه نوع عموم)[١]. ولكن ينبغي الحذر من المبالغة في النظرة لمن وصف بالتجديد، وأن ينظر إليه نظرة اعتدال كما أشار السيوطي أيضاً حين ذكر أنه قد يكون في المائة من هو أفضل من المجدد على رأسها[٢]. فلا يعني الوصف بالمجددية حصول الأفضلية للموصوف.

والخطأ أن من يوصف بالتجديد عند أصحابه ليبلغ من المكانة إلى حدّ أن يشبهه بعضهم بمرتبة النبوّة، إذ يقولون لو كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نبيٌّ لكان فلان، كما نقل الزبيدي عن بعض من بالغ في وصف كتاب الوجيز للغزالي بقوله: (لو ادعى النبوة لكان معجزة له كافية)[٣]، وإن هذه لجهالة حين

---

(١) التنبئة، ص٦٩ نسخة شانوحة، ص١١٤-١١٥ نسخة كردي.

(٢) التنبئة، ص٦٣ نسخة شانوحة ، ص١١١ نسخة كردي.

(٣) نقله الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٢/٢٨٧-٢٨٨، وليته علق عليه؛ ولكنه لم يفعل!.

ادّعوا أنه يحصل بثبوت معجزاته ببعض مصنفاته!.

قلت: وادعى ذلك جماعة في متبوعيهم، فعلى سبيل المثال: ذُكر عن والد أبي المعالي الجويني أنه قال فيه بعض الناس: "لو كان بعد رسول الله نبي لكان أبا محمد"[1]. وطائفة الختمية يزعمون لو كان نبي بعد النبي لكان محمد عثمان الميرغني[2]. وقيل مثل ذلك عن الحاج أمين الحسيني وهو من رجالات فلسطين[3]. وهذا مما لا ينبغي لأنه من الأمور الموهمة، وفيه معارضة مع قول النبي صلى الله عيه وسلم فيما أخرج الترمذي وأحمد والطبراني والحاكم عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو كان بعدي نبي لكان عمر". وصححه الألباني. قلت: فإن جاز تشبيه بعض المتبوعين لإمامهم بما يقارب الوصف بمنزلة النبوة ولو على سبيل الافتراض؛ فإن وصفهم لإمامهم بالتجديد أهون؛ لوجود الفارق ما بين المنزلتين. كما أن الإسراف في التقدير والمحبة يؤدي إلى التقديس في غير محله. كما هو حال متعصبة المذاهب الذين قد يصل الأمر ببعضهم إلى اختراع أحاديث في مدح متبوعيهم أو ذم آخرين، كما روي عن أنس رضي الله عنه: "**يكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة يجدد الله سنتي على يده**"[4]. ومثله كذبهم على النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أنس رضي الله عنه: "**يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتي من إبليس ويكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتي**"[5].

---

(1) نقله عبدالله الهرري الحبشي في كتابه (مختصر كتاب الفتح الرحماني في ذكر الصلاة على أشرف الخلائق الإنساني) ولم أتمكن من نسبة قائلها.

(2) كتاب الطريقة الختمية بعنوان رسالة الختم تأليف السيد جعفر بن السيد محمد عثمان الميرغني ص ١١٥ – ١١٦.

(3) انظر: موسوعة الفلكلور الفلسطيني لسرحان نمر القسم الأول ص١٢، ط٢، ١٩٨٩م.

(4) موضوع. انظر: الكامل في ضعفاء الرجال ١٧٧/١، ولسان الميزان ١٩٣/١.

(5) موضوع. انظر: المجروحين ٤٦/٣، وسلسلة الأحاديث الضعيفة (٥٧٠).

المؤثر الخامس: التعصب

التعصب نوع من التشدد الذي يجعل المرء يرى أنه على حق أبداً وأن غيره على باطل دون الاعتماد على دليل شرعي أو عقلي.

والتعصب أضرب مختلفة فقد يكون تعصباً لقبيلة أو طائفة أو حزب أو لون أو عرق أو مكان أو فكر أو مذهب، ولا شك أن التعصب المذهبي ينتج عنه التباغض بين أصحاب المذاهب فهو أثر من آثاره؛ إضافة إلى ما للتعصب من آثار سيئة في الفكر وجمود العقل، فإن له أثرا واضحا في انتشار الكراهية والعداء، بل قد يصل الأمر أحياناً إلى صراعات دموية بين متعصبة المذاهب(١). وما يعقبه من خلاف مقيت، وتفرق مذموم؛ فمثلاً: منع بعض المقلدين التزوج بين الحنفي والشافعية، ثم صدرت من بعض المشهورين عند الحنفية -وهو الملقب بـ "مفتي الثقلين"- فأجاز تزوج الحنفي بالشافعية، وعلل ذلك بقوله: (تنزيلاً لها منزلة أهل الكتاب)!! ناهيك عن الإفتاء ببطلان الصلاة خلف صاحب المذهب المخالف(٢). وجاء في ترجمة قاضي دمشق الحنفي البلاساغوني المتوفى سنة (٥٠٦هـ) أنه قال: لو كان لي أمر لأخذت الجزية من الشافعية(٣).

فهذان أمران متلازمان أحدهما التباغض بين أصحاب المذاهب والآخر تعظيم أئمة المذهب المتبع وعدم تجويز الخطأ عليهم. فإذا جُعل الإمام المتبوع معصوماً في قوله ورأيه فقد نزله منزلة النبي صلى الله عليه وسلَّم في أمَّته، وذلك إذا التزم هؤلاء الأتباعُ قول إمامهم في كلِّ ما قال وعنفوا على من يخالف رأيه وقوله. قال

---

(١) أشار بعض المؤرخين إلى الفتن والصراع بين أصحاب المذاهب، كالذي نقله ياقوت الحموي عن التعصب بين الشافعية والحنفية والحروب المتصلة بين الحزبين فكلما ظهرت طائفة نهبت محلة الأخرى وأحرقتها وخربتها لا يأخذهم في ذلك إلاً ولا ذمة. معجم البلدان ٢٠٩/١.

(٢) صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم للألباني، ص٦٥، الطبعة الثانية للطبعة الجديدة.

(٣) ميزان الاعتدال ٣٥٠/٦.

أحدهم:

فلعنـــة ربنـــا أعـــداد رمـــل علـــى مـــن رد قـــول أبـــي حنيفـــة

وأنشد منذرُ بن سعيد الظاهريُّ عدَّة أبيات تُصوِّر حالة تشبُّث المالكيَّة بقول الإمام بدون دليلٍ، فقال:

عـذيري مـن قـوم إذا مـا سـألتهم دلـــيلاً يقولـــوا هكـــذا قـــال مالـــك

فإن زدت قالوا قال سحنون مثلـه وقـد كـان لا تخفـى عليـه المسـالك

فإن قلت قال اللـه ضجوا وأعولوا علـــيّ وقـــالوا أنـــت خصـــم مماحـــك

وقال إمام الحرَمين الجوينيُّ الشافعي: نحن ندَّعي أنه يجب على كافَّة العاقلين وعامَّة المسلمين – شرقًا وغربًا، بُعدًا وقربًا – انتحالُ مذهب الشافعي، ويجب على العوامِّ الطَّغَام، والجُهَّال الأنذال أيضًا انتحالُ مذهبه؛ بحيث لا يَبْغُون عنه حِوَلاً، ولا يريدون به بدلاً!

قال ابن تيميَّة: أما وجوب اتِّباع القائل في كل ما يقوله من غير ذِكْر دليل يدلُّ على صحة ما يقول فليس بصحيح، بل هذه المرتبة هي مرتبة الرَّسول التي لا تصلح إلا له.

بل إن ذلك تجاوز المذهب الفقهي إلى الجماعات والأحزاب فالبعض من جماعة الإخوان مثلا يرى أن حسن البنا هو مجدد قرنه[1]. كما أن جماعة التبليغ ترى أن مجدد العصر لا يمكن أن يتجاوز بأي حال من الأحوال الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي مؤسس الجماعة[2]. بل تجاوز الأمر الجماعات الفكرية

([1]) انظر: موقع ويكيبيديا الإخوان المسلمون. مقال بعنوان: في منهج الدعوة إلى الله تعالى، للدكتور عبداللطيف تلوان ٢٠١٥/١٠/١٤م.

([2]) انظر: شبكة أنا المسلم. حوار بعنوان: المجددون عبر تاريخنا ٢٠١٠/١٠/٣٠م.

والدعوية إلى الاتجاهات السياسية فقد عدّ بعض الكتاب الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي هو مجدد هذه المائة[١]. ولست أناقش هنا في استحقاق أولئك المذكورين وصف المجدد من عدمه؛ ولكن مما لا ريب فيه أن المخالفين لهم فكرياً ومنهجياً وسياسياً لا يرون أن أحداً من المشار إليهم من المجددين بأي حال من الأحوال؛ هذا إن لم يعدوهم من المفسدين.

وقد تناول السبكي في طبقات الشافعية موضوع التجديد في مواضع من كتبه؛ وقد لاحظت أن المعدودين من الشافعية دون غيرهم، فقد عدَّ السبكي في منظومة له عن أسماء المجددين في كل مائة، وكان جلهم بل كلهم من الشافعية، ثم قال:

فانظر لسرّ الله أن الكل من ... أصحابنا فافهم وأنصف ترشد

هذا على أن المصيب إمامنا ... أجلى دليل واضح للمهتد

يا أيها الرجل المريد نجاته ... دع ذا التعصب والمراء وقلد

هذا ابن عم المصطفى وسميه ... والعالم المبعوث خير مجدد

وضح الهدى بكلامه وبهديه ... يا أيها المسكين لم لا تهتدي[٢].

وأما السيوطي فقد تناول موضوع التجديد في كتاب التنبئة ومنظومة تحفة المهديين وقد ابتدأ ذكر المجددين بعمر بن عبدالعزيز واختتمهم بنفسه. والملاحظ أن **عامة المجددين الذين ذكرهم السيوطي هم من أصحابه الشافعية**، وبعضهم له أقوال مبتدعة -وإن كان تاب منها قبل موته- فكيف يصير من المجددين!؟.

فعلى سبيل المثال: عدّ السيوطيُ الغزاليَ مجدداً، وهو ممن اضطربت فيه الآراء. فقد ذمه بعضهم وقدح فيه وفي مؤلفاته. قال عنه الذهبي رحمه الله:

---

(١) انظر: صحيفة إيلاف الالكترونية. مقال بعنون: السيسي مجدد المائة عام، لأمل إبراهيم ٢٠١٥/١/٨م.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٠٣/١.

(وأدخله سَيَلانُ ذهنهِ في مضايقِ الكلام، ومزالِّ الأقدام)[1]. وقال أبو بكر بن العربي رحمه الله: (شيخُنا أبو حامد: بَلَعَ الفلاسفةَ، وأراد أن يتقيَّأهم فما استطاع)[2]. وقال الذهبي أيضاً: (وقد ألّف الرجل في ذمِّ الفلاسفةِ كتابَ "التهافت"، وكَشَفَ عوارَهم، ووافقهم في مواضعَ ظنًّا منه أن ذلك حقٌّ أو موافقٌ للملَّةِ، ولم يكن له علمٌ بالآثار، ولا خبرةٌ بالسنَّةِ النبويَّةِ القاضيةِ على العقلِ، وحُبِّبَ إليه إدمانُ النظرِ في كتابِ "رسائل إخوان الصفا"[3]، وهو داءٌ عضالٌ، وجَربٌ مردٍ، وسمٌّ قتَّال، ولولا أنَّ أبا حامد مِن كبار الأذكياء، وخيار المخلصين لتلِف، فالحذار الحذار مِن هذه الكتب، واهربوا بدينكم من شُبَه الأوائل وإلا وقعتم في الحيرة)[4].

والمقصود من هذا هو أن الغزالي واحدٌ ممن عدهم السيوطي من المجددين؛ وهو شافعي والسيوطي شافعي؛ هذا من جهة ترجيحه للتصنيف المذهبي للمجددين، ومن جهة أخرى فإن الغزالي نفسه قد دار حوله جدل كبير كما رأيت.

---

(1) سير أعلام النبلاء ٣٢٣/١٩.

(2) سير أعلام النبلاء ٣٢٧/١٩.

(3) صدرت هذه الرسائل إبان القرن الرابع الهجري، وكانت لترجمة الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية... وهي (٥٢) رسالة مقسمة إلى أربعة أقسام: الرياضيات، والطبيعيات، والعقليات، والإلهيات... وتعد "رسائل إخوان الصفا" إحدى ثمار الحركة الباطنية للجماعة السرية التي مزجت الفلسفة اليونانية والعقيدة الإسلامية لتخرج للناس مذهباً جديداً، يمزج إلهيات اليونان ونظريات "أفلاطون، وأرسطو، وأفلوطين، وفيثاغورس، وغيرهم "بالعقيدة الإسلامية في خليط مضطرب فاسد... قال شيخ الإسلام رحمه الله ... وفيه من الكفر والجهل الشيء الكثير... ثم قال: فهل ينكر أحدٌ ممن يعرف دين المسلمين، أو اليهود، أو النَّصارى أنَّ ما يقوله أصحاب "رسائل إخوان الصفا" مخالف للملل الثلاث. انظر: كتب حذر منها العلماء ٦٧/١-٧٦. لمشهور حسن سلمان.

(4) سير أعلام النبلاء ٣٢٨/١٩.

فهل يُقبل كلام السيوطي بإطلاق وهل يسلم له كون الغزالي من المجددين؟ والله تعالى أعلم.

قلت: وعلى ضوء الحديث من لفظ: "يبعث" يُفهم أن المجدد ظاهر الشأن والحال والاسم وليس خفياً لا يعرف بين الناس بل يعرفه الناس وقد أفادوا منه وعمهم شيء من نفعه. إلا أنه ينبغي التحرز والتثبت عند تنزيل الأسماء على المجددية حيث يصعب الجزم بأن هذا الرجل أو ذاك هو مجدد قرنه، فأسماء المجددين ليست قطعية كالقطع بالمبشرين بالجنة ولكن المسألة اجتهادية للرأي فيها نصيب كما ذكرت ذلك سابقاً، لذا قد يختلف أهل العلم على تحديد المجدد في الدين من غيره. ولعل ما أشير إليه من القول بتعدد المجددين في القرن الواحد يعطي الأمر فسحة في الاختيار لا في التحديد والحصر، خاصة أن حصر المجددية في شخص واحد يجعل سائر الأتباع ينحو لأن يكون شيخه أو أستاذه هو المجدد دون غيره؛ وفي مقابل ذلك يرفض آخرون لذلك الاختيار وربما انتقصوا ذاكم الموصوف بالتجديد وبحثوا عن مثالبه وعيوبه. ولو قلنا بتعدد المجددين كل في تخصصه لخرجنا من الجدال ولم نحجّر واسعاً.

المؤثر السادس: الإعجاب

سواء أكان الإعجاب بالنفس أم الإعجاب بالآخرين؛ وليس بالضرورة أن يكون الإعجاب مصدره ومنبعه التعصب ولكن الإعجاب بشخص ما بعلمه ومعارفه وثقافته وإنجازاته تجعل البعض يعده مجدداً. أو الإعجاب بأسلوب طرحه وطريقة عرضه. أو الإعجاب به لأنه يناقش موضوعات تلامس اهتماماته كمن يناقش موضوعات جهادية مثلاً والقارئ مهتم لذلك الشأن أو يطرح موضوعات متعلقة بالفقه المعاصر والقارئ له اهتمام بهذا الشأن أو يناقش موضوعات متعلقة بواقع المسلمين اليوم. وهذا لا يعني أن هذه الجوانب ليست لها أهمية ولكنه في الوقت ذاته لا يعني أن من ناقشها واهتم بها وطرحها يستحق لقب مجدد القرن. فعلى

سبيل المثال حين اطلعت على موقع الدكتور عدنان إبراهيم رأيت أن المعجبين به لا يعدونه مجدد القرن فحسب بل مجدد الألفية الثالثة، لأنه يشن حملة «إبراهيمية» عنيفة لتحطيم الأصنام التى وجدنا عليها آباءنا عاكفين، فلا تقديس عنده للصحابة كأنهم ملائكة، ولا إقرار بخوارق يأجوج ومأجوج، ولا قبول بالتناقضات داخل الأحاديث على علاتها[1]. قلت: عدّه مجدداً للألفية دون النظر إلى رأس المائة ناهيك عن قيود أخرى مع أن الحديث ذكر القرن وليس الألفية.

وأما الإعجاب بالنفس فقد عدّ السيوطي نفسه مجدد مائته حيث يرى رحمه الله أنه هو المبعوث على رأس المائة التاسعة، مجدداً ومحيياً للدين. وقد صرح بدعوى المجددية كما في كتاب: "**التنبئة**"، فقال: (إن **ترجيت** من نعم الله وفضله –كما ترجى الغزالي لنفسه– أني المبعوث على رأس هذه المائة التاسعة، لانفرادي عليها بالتبحر في أنواع العلوم. وقد اخترعت علم أصول اللغة وورثته، ولم أسبق إليه، وهو على نمط علم الحديث وعلم أصول الفقه. وسارت مصنفاتي وعلمي في سائر الأقطار، ووصلت إلى الشام والروم والعجم والحجاز واليمن والهند والحبشة والمغرب والتكرور، وامتدت إلى البحر المحيط. ولا مشاركة لي في مجموع ما ذكرته).

وقال في أرجوزة سماها "**تحفة المهتدين بأخبار المجددين**"، في آخرها:

وهذه تاسعة المئين قد أتت ولا يخلف ما الهادي وعد

وقد رجوت أنني المجدد فيها ففضل الله ليس يجحد.

كما صرح بالتعبير عن دعواه أنه المجدد، جاء ذلك في رسالة سماها: "الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف"، فقال: (فإنه ثم من ينفخ أشداقه، ويدعي مناظرتي، وينكر عليَّ دعوى الاجتهاد والتفرد بالعلم على رأس هذه المائة، ويزعم أنه

(1) انظر: موقع مكتبة الدكتور عدنان إبراهيم. مقال بعنوان: عدنان إبراهيم مجدد الألفية الثالثة ٢٠١٤/١١/٢٢م.

يعارضني ويستجيش عليّ من لو اجتمع هو وهم في صعيد واحد، ونفخت عليهم نفخة، صاروا هباءً منثوراً)[١].

قلت: فهل على السيوطي تثريب في كونه جعل نفسه المجدد في زمانه؟. وهل يلام على ذلك؛ إن كان يرى من نفسه تلكم المكانة؟ وهل ينكر عليه؛ إن كان صادقاً فيما يدعي؟. وقد سبقه من ادعى المجددية لنفسه[٢]، فلم يكن هو أول من وصف نفسه بالتجديد.

ولكن السؤال الأهم: هل وافق العلماء المعاصرون للسيوطي السيوطي على ما قاله؟ أم أن هناك من انتقده وطعن عليه؟

قلت: لم يسلم السيوطي رحمه الله من النقد، سيما من أقرانه، وعلى رأسهم المحقق الحجة شمس الدين السخاوي **وتتلخص تلك المطاعن في الآتي:**

أولاً: اتهامه بالبلادة وبُعد الفهم؛ لأنه أي: السيوطي أخبر عن نفسه أنه لا يعرف الحساب[٣]، وقد صرح أئمة الفن بأنه فن ذكاء[٤].

وأجاب الشوكاني عن ذلك فقال: (وأقول لا يخفى على المنصف ما في هذا المنقول من التحامل على هذا الإمام فانه ما اعترف به من صعوبة علم الحساب عليه لا يدل على ما ذكره من عدم الذكاء فان هذا الفن لا يفتح فيه على ذكى إلا نادراً)[٥]. وقال السيوطي نفسه: (وأما الحساب فأعسر شيء عليّ مع معرفتي به، ولكن يثقل عليّ النظر فيه، وتضيق أخلاقي. ومن ظن أني قلت ذلك قصوراً فذلك

---

(١) الحاوي ٨٦/٢.

(٢) كما جاء عن أبي حامد الغزالي في كتابه: المنقذ من الضلال ص١٢٢. وكان ذلك على سبيل التلميح البيّن.

(٣) قال في حسن المحاضرة ٣٣٣/١: (وأما علم الحساب، فهو أعسر عليّ، وأبعده عن ذهني، وإذا نظرت في مسألة تتعلق به، فكأنما أحاول جبلاً أحمله).

(٤) الضوء اللامع ٦٤/٤.

(٥) البدر الطالع ٣٣٢/١.

لجهله بمقصودي، وكم من مسألة عرضت عليّ فيه نظماً ونثراً؛ فأجبت عنها في الحال، وإنما قصدي ثقل النظر فيه لعدم ملاءمته لطبيعتي)[1].

ثانياً: أخذ عليه قوله إن مؤلفاته بلغت ثلاثمائة. فقال السخاوي وهو يقللها: (وذكر أن تصانيفيه زادت على ثلثمائة كتاب؛ رأيت منها ما هو في ورقة، وأما ما هو دون كراسة فكثير)[2].

وقد أجاب الشوكاني عن ذلك بقوله: (وقوله -أي السخاوي- إنه رأى بعضها في ورقة لا يخالف ما حكاه صاحب الترجمة -أي السيوطي- من ذكر عدد مصنفاته؛ فإنه لم يقل إنها زادت على ثلاثمائة مجلد؛ بل قال إنها زادت على ثلاثمائة كتاب، وهذا الاسم يصدق على الورقة وما فوقها)[3].

ثالثاً: اتهمه السخاوي بسرقة الكتب؛ فرماه باختلاس بعض كتب ابن حجر، بل اتهمه باختلاس بعض من مؤلفاته -والمقصود السخاوي- حين كان يتردد عليه[4].

وقد أجاب الشوكاني عن ذلك بقوله: (ليس بعيب فإن هذا مازال دأب المصنفين يأتي الآخر فيأخذ من كتب من قبله فيختصر أو يوضح أو يعترض أو نحو ذلك من الأغراض التي هي الباعثة على التصنيف. ومن ذاك الذي يعمد إلى فن قد صنف فيه من قبله فلا يأخذ من كلامه!؟)[5].

وعندي أن هذا النقد لا يقدح في السيوطي؛ لأن مثل هذا الجرح يحصل بين الأقران. والجرح بين الأقران لا يقبل. وقد كان السخاوي متحاملاً في ترجمته

---

(1) السنا الباهر، ص٦٨.

(2) الضوء اللامع ٦٨/٤.

(3) البدر الطالع ٣٣٣/١.

(4) انظر: الضوء اللامع ٦٦/٤.

(5) البدر الطالع ٣٣٣/١.

للسيوطي رحمهما الله، وكلاهما إمام (قال بعض الفضلاء: والحق أن كلاً من الثلاثة[١] كان فرداً في فنه مع المشاركة في غيره؛ فالسخاوي تفرد بمعرفة علل الحديث، والديمي بأسماء الرجال، والسيوطي بحفظ المتن والله أعلم. وكان بينه وبين الحافظ السخاوي منافرة كما يكون بين الأكابر)[٢].

وقد علق الشوكاني على جرح السخاوي بقوله: (والسخاوى رحمه الله وان كان إماماً غير مدفوع؛ لكنه كثير التحامل على أكابر أقرانه كما يعرف ذلك من طالع كتابه الضوء اللامع، فانه لا يقيم لهم وزناً بل لا يسلم غالبهم من الحط منه عليه وإنما يعظم شيوخه وتلامذته ومن لم يعرفه ممن مات فى أول القرن التاسع قبل موته أو من كان من غير مصره أو يرجو خيره أو يخاف شره)[٣]. وقال أيضاً: (ولكنه -أي: السيوطي- لم يسلم من حاسد لفضله وجاحد لمناقبه فإن السخاوى في الضوء اللامع وهو من أقرانه ترجمة مظلمة غالبها ثلب فظيع وسب شنيع وانتقاص وغمط لمناقبه تصريحا وتلويحا ولا جرم فذلك دأبه في جميع الفضلاء من أقرانه وقد تنافس هو وصاحب الترجمة منافسة أوجبت تأليف صاحب الترجمة لرسالة سماها "الكاوي لدماغ السخاوي" فليعرف المطلع على ترجمة هذا الفاضل في الضوء اللامع أنها صدرت من خصم له غير مقبول عليه)[٤].

قلت: والمقصود هنا أن السيوطي رحمه الله عدَّ نفسه من المجددين، ولا يخلو هذا الأمر من تزكية للنفس ومدحها، وقد قال الله: ﴿**فلا تزكوا أنفسكم**﴾[٥]. وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يمدح الرجل أخاه فكيف بمن مدح نفسه؟

---

(١) لم يكن السيوطي هو الوحيد الذي ناله جرح السخاوي؛ فالمقصود الثالث هو: الحافظ الديمي.

(٢) النور السافر، ص٩٣.

(٣) البدر الطالع ١/٣٣٣-٣٣٤.

(٤) المرجع السابق ١/٣٢٨-٣٢٩.

(٥) النجم، آية ٣٢.

وليت السيوطي رحمه الله اكتفى بالرجاء أن يكون هو المجدد ولم يجزم.

المؤثر السابع: شهرة المجدد والنظر إلى آثاره وإنتاجه

قد يحصل للمجدد نتاج علمي غزير ونافع ومفيد كما قد يكون له مواقف سياسية واجتماعية يشتهر على أثرها ولا يشتهر غيره كشهرته؛ والحقيقة أن الشهرة وقوة التأثير وكثرة المؤلفات ليست مقياساً مطلقاً لاختيار المجدد دون النظر إلى القيد المنصوص عليه في الحديث؛ وهو رأس المائة. فلو نظرنا إلى كثير من الأئمة والعلماء المتفق على إمامتهم ليس بالضرورة أن يكونوا في عداد المجددين كأئمة الحديث مثل البخاري ومسلم وسائر أصحاب السنن الأربعة، والأئمة الأربعة دون الشافعي، وأهل الرواية كعبدالله بن المبارك وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري ويحيى بن معين وسائر الحفاظ المتقنين وأمراء المؤمنين في الحديث وأصحاب المستدركات والمصنفات، وأئمة القراءات كنافع المدني وابن كثير المكي وأبي عمرو البصري وعاصم الكوفي والكسائي، وأئمة التفسير كابن أبي حاتم وابن جرير الطبري شيخ المفسرين والمؤرخين وابن كثير والقرطبي، وسائر الأعلام كابن تيمية وابن القيم والنووي وابن حجر وابن عبدالبر؛ وغيرهم من علماء الإسلام في المشرق والمغرب على مر الأزمان والعصور. قلت: إن نظرة واحدة في الكتب والمصنفات المتعلقة بالرجال وأسمائهم وجهودهم تجعل المرء يقف عاجزاً عن حصر تلك الكتب والمؤلفات فما بالك بحصر الرجال أنفسهم. وليس المقام مقام سرد للأسماء بقدر ما هو إيضاح أن الشهرة لا تعني الوصف بالتجديد وأن الأمر ليس متروكاً للعاطفة.

**

الخاتمة

وقد تبين من خلال هذا البحث أن التجديد سنة إلهية شرعية في هذا الدين وبشارة وعد بها الله سبحانه وتعالى الأمة بأنها لا تخلو من المجددين، فهو وعد إلهي لا يتخلف ومنّة يمنّ الله بها على هذه الأمة. لا ينبغي حصر المجدد في مذهب معين أو طائفة معينة فأسماء المجددين اجتهادية وليست قطعية. إن عاش المرء في بيئة ما فلا يجوز له أن يحصر الخير والصلاح فيها. فهو لم يطلع على غيرها ولم يحط بغيرها علما. الغلو والتقديس والإعجاب تجعل المرء يصف متبوعه وإمامه بأوصاف فيها من المبالغات الظاهرة وقد يقدح في غيره.

**

المصادر والمراجع

- ابن حجر، الدرر الكامنة، الطبعة ٥، ١٤١٣هـ.
- آبادي، شمس الحق العظيم. عون المعبود شرح سنن أبي داوود. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن الأشعث، سليمان. دار الحديث سنن أبي داود. حمص، الطبعة ١، ١٣٨٨هـ.
- ابن عساكر، علي بن حسن ت: محب الدين العمري. تاريخ مدينة دمشق. بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م.
- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله. حلية الأولياء. دار الكتب العربي، الطبعة ٥، ١٤٠٧هـ.
- الألباني، محمد ناصر الدين. سلسلة الأحاديث الصحيحة. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ.
- الألباني، محمد ناصر الدين. سلسلة الأحاديث الضعيفة. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ.
- الألباني، ناصر الدين. صحيح الجامع الصغير وزيادته. بيروت: المكتب الإسلامي، بدون تاريخ.
- الألباني، ناصر الدين. صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، الطبعة ٢، بدون تاريخ.
- البغدادي، الخطيب. تاريخ بغداد. دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.
- الجرجاني، أحمد عبدالله بن عدير. الكامل في ضعفاء الرجال. بيروت: دار الفكر للنشر والتوزيع.
- ابن حجر، . توالي التأنيس بمعالي إدريس. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة ١، ١٤٠٦هـ.

- الحداد، عبدالله. تخريج إحياء علوم الدين. الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٨هـ.
- الحموي، ياقوت. معجم البلدان. بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء. بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة ٣، ١٩٨٥م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. ميزان الاعتدال في نقد الرجال. بيروت: دار المعرفة.
- الزبيدي، محمد الحسيني. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين. دار الفكر.
- السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي ت: محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو. طبقات الشافعية الكبرى. هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة ٢، ١٤١٣هـ.
- السخاوي، شمس الدين محمد. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. دار الجيل، الطبعة ١.
- السخاوي، شمس الدين محمد. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة. بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة ١، ١٤٠٥هـ.
- سلمان، مشهور حسن. كتب حذر منها العلماء. دار العصيمي، الطبعة ١، ١٩٩٥م.
- السيوطي، جلال الدين – الكردي، عبدالرحيم. التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة. مصر: مجلة تراثيات الصادرة عن دار الكتب والوثائق القومية، العدد ٣، ٢٠٠٤م.
- السيوطي، جلال الدين ت: أبو الفضل إبراهيم. حسن المحاضرة. مصر: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة ١، ١٣٨٧هـ.

- السيوطي، جلال الدين ت: عبدالحميد شانوحة. التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة. مكة: دار الثقة، الطبعة ١، ١٤١٠هـ.
- السيوطي، جلال الدين. الحاوي للفتاوي. دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ.
- الشوكاني، محمد علي. البدر الطالع بمحاسن القرن التاسع. القاهرة:مطبعة السعادة، الطبعة ١، ١٣٤٨هـ.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب. المعجم الأوسط. القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ.
- المنتدى الإسلامي. التجديد في الإسلام. لندن: المنتدى الإسلامي، الطبعة ٤، ٢٠٠١م.
- منظور، ابن. لسان العرب. القاهرة: دار المعارف، بدون تاريخ.
- نمر، سرحان. الفلكلور الفلسطيني. الطبعة ٢، ١٩٨٩م.
- النووي. صحيح مسلم، بشرح النووي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
- النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم. المستدرك على الصحيحين. مكة: دار الباز، بدون تاريخ.
- اليمني، محمد الشلي ت: إبراهيم بن أحمد المقحفي. السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار العاشر. صنعاء: مكتبة الإرشاد، الطبعة ١، ١٤٢٥هـ.

* * *